



دراسة (مجلة "سياسات عربية"، العدد ٢: أيار / مايو ٢٠١٣)

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية*

مروان قبلان | مايو ٢٠١٣

* هذه الدراسة منشورة في العدد الثاني من دورية "سياسات عربية" (أيار / مايو ٢٠١٣)، الصفحتان: ٤١-٥٩، وهي دورية محكمة تعنى بالعلوم السياسية وال العلاقات الدولية والسياسات العامة، يصدرها المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات كل شهرين.

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

سلسلة: دراسات (مجلة "سياسات عربية"، العدد ٢: أيار / مايو ٢٠١٣)

مروان قبلان | مايو ٢٠١٣

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © ٢٠١٣

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. إضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتماماً لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، سواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، ومقاريات ومنهجيات تكاملية عابرة للشخصيات. وينطلق من افتراض وجود أمن قومي وإنساني عربي، ومن وجود سماتٍ ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربي، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخططٍ من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: ٨٢٦ - منطقة ٦٦

الدفنة

ص. ب: ١٠٢٧٧

الدوحة، قطر

هاتف: ٤٤١٩٩٧٧٧ | فاكس: ٤٤٨٣١٦٥١ +٩٧٤

www.dohainstitute.org

ملخص

تستعرض هذه الدراسة التنظيمات العسكرية السورية المختلفة التي تنشط حالياً ضد النظام السوري، وتتفاوت الظروف التي أدت إلى تشكيلها إضافة إلى طبيعتها الفكرية والسياسية، وارتباطاتها، والجهات التي تمولها. وترى الدراسة أنه يمكن القول، بشكل عام، إن هذه التنظيمات تنقسم إلى تيارين رئيين: تيار ذو توجهات علمانية، وآخر ذو توجهات إسلامية. وترى الدراسة أن العفوية قد لازمت نشأة هذه التشكيلات العسكرية المختلفة، كما أن تشكيلها جاء ردّاً على عنف النظام، أكثر منه فعلاً سياسياً مقصوداً. يضاف إلى ذلك، أن تصدي فئاتٍ غير متعلمة لمهمة تشكيل معظم قيادات هذه التشكيلات العسكرية وقياداتها قد أسهم في عدم وضوح الرؤية لدى أغلبها. تمثل هذه الدراسة محاولةً لتقديم إسهامٍ لسد النقص في الدراسات الأكاديمية، المكتوبة باللغة العربية، حول المعارضة السورية المسلحة.

المحتويات

١	مقدمة
٢	نشوء ظاهرة العسکرة في الثورة السورية
٣	أولاً: التشكيلات العسكرية ذات التوجه العلماني
٣	١. المجلس العسكري المؤقت للجيش السوري الحر
٤	٢. المجلس العسكري الأعلى للجيش السوري الحر
٧	٣. القيادة العسكرية المشتركة للثورة السورية
٨	٤. الجيش الوطني السوري
٩	٥. القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية
١٠	٦. مجلس القيادة العسكرية العليا المشتركة
١١	سمات عامة للتشكيلات العسكرية ذات التوجه العلماني
١٢	ثانياً: القوى والكتائب ذات التوجه الإسلامي
١٣	١. جبهة النصرة لأهل الشام
١٥	٢. الجبهة الإسلامية السورية
١٨	٣. تجمع أنصار الإسلام في دمشق وريفها
٢١	٤. جبهة تحرير سوريا
٢٣	٥. كتائب الأنصار
٢٤	سمات عامة لكتائب والألوية الإسلامية
٢٤	ثالثاً: العلاقة بين تشكيلات المعارضة العسكرية السورية

٢٥	١. المواقف والطروحات الأيديولوجية
٢٥	أ. الطروحات الأيديولوجية للمجالس العسكرية
٢٧	ب. الطروحات الأيديولوجية لكتائب الإسلامية
٣٠	٢. التمويل
٣٣	٣. العلاقة مع المعارضة السياسية (الخارجية)
٣٤	أ. العلاقة بين المجالس العسكرية والمعارضة السياسية
٣٥	ب. العلاقة بين الكتائب الإسلامية والمعارضة السياسية
٣٧	رابعاً: سيناريوهات العلاقة المستقبلية بين تيارات المعارضة المسلحة السورية
٣٩	الخاتمة

مقدمة

بعد مرور ما يربو على العامين على انطلاق الثورة السورية، وأكثر من عام على تحولها إلى انفلاحة مسلحة تهدف إلى إسقاط النظام عسكرياً، بعد أن فشلت في إزاحته سلمياً، بدأت تتضح خريطة التشكيلات العسكرية للمعارضة السورية. وعلى الرغم من أن هذه التشكيلات ما زالت تفتقر في معظمها إلى بنية متماسكة أو سلطة مركبة قادرة على توحيدها، وأن أعدادها تتزايد حتى أصبحت تعداداً بالمئات، فإنه يمكن التمييز بين تيارين رئيسين في المعارضة المسلحة السورية هما: التشكيلات العسكرية ذات النزعة العلمانية، وهي مرتبطة أو منضوية في معظمها تحت لواء ما أخذ يطلق عليه اسم "الجيش السوري الحر"، والكتائب والألوية ذات الاتجاهات الإسلامية⁽¹⁾.

يتناول هذا البحث أهم تشكيلات المعارضة العسكرية السورية الفاعلة على الأرض، ويحاول استقصاء نشأتها والظروف التي أدت إلى ظهورها، كما يسعى لرصد اتجاهاتها وجهات تمويلها وال العلاقة بين مختلف مكوناتها. وأخيراً، يسعى لـلقاء الضوء على سيناريوهات تطور العلاقة بين جماعات المعارضة المسلحة وتأثيرات ذلك على مسار الثورة السورية ومستقبل سوريا كلها. ويخلص البحث إلى أن هذه التشكيلات لها هدف واضح، وتتفق جميعها على التخلص من

⁽¹⁾ حدد هذا البحث في مسودته الأولى تياراً ثالثاً، وهو فئة المقاتلين الأجانب، لكنَّ معظم هؤلاء - على قلة عددهم كما بينت دراسات وتقارير استخباراتية عديدة - ينضوي أيديولوجياً وينشط عملياتياً في إطار الكتائب والألوية الإسلامية. من المهم أيضاً الإشارة إلى أن هذا البحث لا يسعى لحصر فصائل المعارضة المسلحة السورية، لأنَّ عددها كبير، ويتجاوز ٦٠٠ فصيل، وفقاً لبعض التقديرات، بل يركز على أكثرها أهمية وفعالية، وبما يخدم غرض الدراسة. ولا يفوت الباحث في هذه المناسبة أن يعبر عن امتنانه لمجموعة من الناشطين الميدانيين لما بذلوه من جهد في إنجاز هذه الدراسة، والذين يتغدر ذكر أسمائهم لأسباب أمنية.

النظام الاستبدادي، لكنّها تختلف على كل شيء آخر خلاف ذلك، بما فيها هوية الدولة المستقبلية ونظامها السياسي. إن العفوية التي رافقت نشأة معظم هذه التشكيلات، وكونها جاءت كرد فعلٍ أكثر منها فعلًا سياسياً مقصودًا على عnf النظام، فضلاً عن تصدي فئات غير متعلمة لمهمة تشكيل معظمها وقيادتها، كل ذلك ساهم في عدم وضوح الرؤية لدى أغلبها. وبتسليط الضوء على هذه الجوانب، يكون البحث قد ساهم في سدِّ ثغرةً أساسيةً في الدراسات الأكاديمية التي تتناول المعارضة المسلحة السورية باللغة العربية.

نشوء ظاهرة العسكرية في الثورة السورية

بدأت الثورة السورية، مثل شقيقاتها العربيات، انتفاضة سلمية ذات بعدين: مطابي معيشي، وسياسي متصل بالحربيات العامة والكرامة الإنسانية. وعبرت عن نفسها في البداية عبر تجمعات عفوية تخرج من المساجد في أعقاب صلاة الجمعة من كل أسبوع. وقد توسل النظام العنف منذ الساعات الأولى لظهور الحركة الاحتجاجية أملًا في إخمادها ومنعها من التوسع. وقد قابل إصرار النظام على استخدام العنف وبوتيرة تصاعدية إصرار الحركة الاحتجاجية على انتهاج السلمية في سعيها لتحقيق أهدافها. لكنّ الأمور بدأت تأخذ منحى مختلفاً مع تنامي استخدام القوة ضد المتظاهرين السلميين، وفشل جهد جامعة الدول العربية في إيجاد حلٍّ سلمي للأزمة، وإخفاق التحركات في مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة لإقناع النظام بتغيير سياساته والتوجه نحو انتقالٍ سياسي سلسٍ للسلطة.

حاول النظام دفع الثورة نحو العسكرية منذ البداية؛ وذلك لتبرير استخدام العنف ضدها من جهة، وللتخويف من مآلاتها وحشد قاعدة دعم شعبي له من جهة أخرى عبر اتهمها بالإرهاب والمعاملة للخارج، فجرى إطلاق يد الأجهزة الأمنية لقمع الثورة، لكنّ استمرارها وتوسيعها دفعه إلى الاستعانة بالجيش. وقد أدى الاستخدام المفرط للقوة من قبل النظام إلى ظهور حالات تسلح ومقاومة غير منظمة، وبخاصة في المناطق الحدودية مثل جسر الشغور في محافظة إدلب

وتلخ في حمص، كما حصلت انشقاقات فردية من داخل المؤسسة العسكرية؛ وذلك بعدها رفض بعض الضباط والجنود إطلاق النار على المتظاهرين. لكنّ معظم الانشقاقات خلال هذه المرحلة المبكرة من الثورة ظلت مقتصرة على الرتب الصغيرة والمتوسطة، وكان من أبرز المنشقين الملّازم عبد الرزاق طلاس والمقدّم حسين الهرموش.

أولاً: التشكيلات العسكرية ذات التوجه العلماني

بعد نحو ثلاثة أشهر من انطلاق الثورة، شكّل المقدّم المنشق حسين الهرموش تنظيماً عسكرياً أطلق عليه اسم "لواء الضباط الأحرار"، وذلك أملأاً في استقطاب الرافضين لاستخدام العنف ضد المدنيين من منتسبي المؤسسة العسكرية وتنظيمهم. لكنّ هذه المبادرة ظلت في إطار رمزي لقلة عدد المنشقين واستمرار الطابع السلمي للثورة، قبل أن تأخذ الأمور منحى تنظيمياً مختلفاً مع الإعلان عن تشكيل ما أصبح يعرف بـ"الجيش السوري الحر" والمجالس العسكرية المرتبطة به.

١. المجلس العسكري المؤقت للجيش السوري الحر

بدأ تشكيل المجالس العسكرية مع تأسيس العقيد رياض الأسعد المجلس العسكري المؤقت في الرابع عشر من تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١١، كإطار تنظيمي لـ"الجيش السوري الحر" الذي كان الأسعد نفسه أعلن عن تأسيسه من تركيا في ٢٩ تموز/ يوليو من العام ذاته. وجاء تأسيس المجلس العسكري ليكون إطاراً تنظيمياً يواكب تامي العمل المسلح ضد قوات النظام، وتزايد عدد المنشقين من المؤسسة العسكرية الذي ترافق مع تصاعد مستوى العنف المستخدم ووتيرته ضد المناطق المنقضة على النظام. وقد أُعلن في البيان التأسيسي عن أسماء أعضاء المجلس

ونظامه الداخلي، وجرى تحديد مهامه في إطار الحفاظ على استمرارية المظاهرات السلمية وحمايتها من "أجهزة القمع والآلة العسكرية التي يستخدمها النظام"^(٢).

أما في ما يتعلق بالعلاقة مع "المجلس الوطني السوري" الذي كان قد تأسس كمظلة سياسية للمعارضة السورية في الخارج في ٢٠١١/١١/٢، فقد أكدّ المجلس العسكري المؤقت على استقلاليته عنه من دون أن يعبر عن موقف واضح تجاهه. تميّز المجلس العسكري بتشكيله وفق بنية عسكرية تراتبية لا تلمح وجود ثوار مدنيين في صفوفه أو بين قياداته، وقد زعم الأسعد وجود ١٥ ألف مقاتل تحت قيادته آنذاك^(٣).

٢. المجلس العسكري الأعلى للجيش السوري الحر

شكل انشقاق العميد مصطفى الشيخ في كانون الأول/ديسمبر ٢٠١١ أول اختبار جدي لمدى تماسّك "الجيش السوري الحر"، المكوّن الأساسي للمعارضة المسلحة السورية في ذلك الوقت. فقد أوجد انشقاق العميد الشيخ تحدياً جدياً لقيادة العقيد رياض الأسعد؛ فالأخير يحمل رتبة عسكرية أعلى من الثاني، ووفقاً للتقليد العسكري يتعين الالتزام بأوامر الرتبة الأعلى، لكنّ تمنّع الأسعد دفع الشيخ لاتخاذ مبادرة منفردة، والإعلان عن تشكيل المجلس العسكري الأعلى للجيش

^(٢) "الجيش الحر يشكل مجلساً عسكرياً مؤقتاً، يمكن الاطلاع على نص البيان التأسيسي على موقع المندسة السورية، ٢٠١١/١١/٤، انظر:

<http://the-syrian.com/archives/53251>

^(٣) "العقيد رياض الأسعد: قررنا تشكيل المجلس العسكري المؤقت لحماية الشعب السوري والعمل على إسقاط النظام بشكل جدي"، مقابلة مع رياض الأسعد، موقع قناة فرانس ٢٤، ٢٠١١/١١/١٨، انظر:

<http://www.france24.com/ar>

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

السوري الحر^(٤). أثار الإعلان حفيظة المجلس العسكري المؤقت الذي اتهمت قيادته العميد الشيخ بأنه "لا ينتمي إلى صفوف الجيش السوري الحر"، وأنّ ما قام به لا يعدو كونه مبادرة فردية لم تجرِ وفق أي مشاورات، ومن ثمّ، فإنّ الشيخ لا يمثل إلا نفسه^(٥).

لم يأتِ بيان الإعلان عن تأسيس المجلس العسكري الأعلى على ذكر أي بنية عسكرية أو أسماء قيادات كما هو حال المجلس العسكري المؤقت، ما أثار أسئلة حول قدرته على استقطاب الضباط المنشقين عن الجيش. ووفقاً لأحد الضباط المنشقين وهو المقدم خالد الحموي، فإنّ المجلس العسكري الأعلى لم يضم أكثر من سبعة ضباط^(٦).

أدت مساعي قامت بها جهات داخلية وخارجية لتوحيد التشكيلات المسلحة التابعة للجيش السوري الحر، بعد استعادة النظام حيّ بابا عمرو في حمص مطلع آذار / مارس ٢٠١٢، إلى تشكيل هيكلية قيادية محلية جديدة للجيش الحر تعمل بالتنسيق مع قيادته العسكرية في الخارج. تضمنت الهيكلية أسماء القيادات العسكرية في الداخل في خمس محافظات رئيسة هي: دمشق وحمص وحماة وإدلب ودير الزور. أما بخصوص العلاقة بين الأسعد والشيخ، فقد جرى التوافق على أن يتولّ العميد الشيخ رئاسة المجلس العسكري الأعلى، بينما يتولّ العقيد الأسعد قيادة

^٤ "بيان تشكيل المجلس العسكري الثوري الأعلى لتحرير سوريا"، موقع سوريا المستقبل، ٢٠١٢/٦، انظر:

<http://syrfuture.com/?p=18633>

^٥ "العميد المنشق مصطفى الشيخ يعلن تشكيل «المجلس العسكري الثوري» لـ «تحرير» سوريا"، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٢/٧، انظر:

<http://aawsat.com/details.asp?section=4&article=662508&issueno=12124>

^٦ المرجع نفسه.

العمليات فيه^(٧). وطرحت القيادة المشتركة في الداخل ميثاق شرفٍ وبيان تأسيسٍ للتأكد على نجاح عملية لم الشمل^(٨).

لكن القيادة العسكرية المشتركة للجيش الحر والمنقسمة بين داخل وخارج ما لبّثت أن دخلت في خلافات ظهرت أولى بواشرها مع طرح مبادرة مبعوث الأمم المتحدة وجامعة الدول العربية إلى سورية كوفي أنان في نيسان/أبريل ٢٠١٢؛ إذ أعلن الناطق باسم القيادة العسكرية للجيش السوري الحر في الداخل العقيد قاسم سعد الدين عن مهلة ٤٨ ساعة للنظام حتى يلتزم بوقف إطلاق النار وفقاً لخطة أنان، فيما نفى المتحدث باسم قيادة الجيش السوري الحر في الخارج العقيد مصطفى عبد الكريم منح الحكومة السورية أي مهلة^(٩).

وتطور الخلاف في المواقف والرؤى بين قيادات الداخل والخارج حتى وصل حدود القطيعة؛ إذ أعلن العقيد قاسم سعد الدين في أيار/مايو ٢٠١٢ أن قيادة الداخل هي وحدها المخولة الحديث باسم الجيش الحر، "نحن نقود العمليات ونحن نحرّك الشارع"، ورياض الأسعد "لا يمثل إلا نفسه"^(١٠).

^٧ "الجيش الحر يشكل هيكلًّا قياديًّا داخلًّا جديًّا"، موقع أرابسيك، ٢٩/٣/٢٠١٢، انظر:

[omhttp://www.alarabesq.c](http://www.alarabesq.c)

^٨ "وثانق الجيش الحر: ميثاق شرف وبيان التأسيس وقرارات"، موقع كلنا شركاء، ٢٠١٢/٨/٢٠، انظر:

<http://all4syria.info/Archive/51955>

^٩ "انقسام بين قادة الجيش السوري الحر حول منح مهلة للحكومة"، موقع بي بي سي عربي، ٢٠١٢/٥/٣١، انظر:

http://www.bbc.co.uk/arabic/middleeast/2012/05/120531_syria_un.shtml

^{١٠} "رياض الأسعد يتهم قيادة الجيش الحر في الداخل بالسعى وراء المناصب"، موقع أنباء موسكو، ٢٠١٢/٨/٢، انظر:

<http://anbamoscow.com/aworld/20120802/376305629.html>

٣. القيادة العسكرية المشتركة للثورة السورية

في الأول من تموز/ يوليو ٢٠١٢ جرى الإعلان عن تشكيل عسكري جديد تلا بيانه التأسيسي العميد المنشق فايز عمرو، ووفقاً لنص البيان تتألف القيادة العسكرية المشتركة للثورة السورية من القيادة العامة وتضم أربعة ضباط أمراء^(١). لكن هذا التشكيل ما لبث أن توسيع وأسندت قيادته إلى اللواء المتقاعد عدنان سلو خلال اجتماع عقد في أنطاليا في تركيا بعد أسبوعين من ذلك^(٢). أثار التشكيل الجديد موجة من ردود الفعل، جاء أبرزها من قيادة الجيش الحر في الخارج، إذ نفى نائب قائد العقيد مالك الكردي أن يكون قد جرى التوصل إلى اتفاق مع اللواء سلو في ما يخص إنشاء القيادة العامة، معتبراً أنّ أعضاء القيادة العسكرية لا يتمتعون بأي غطاء داخلي^(٣).

على النقيض من ذلك، لقي تشكيل القيادة العسكرية المشتركة للثورة السورية، وتعيين اللواء سلو قائداً عاماً لها، ترحيباً من قيادات الجيش الحر في الداخل، وعبرت في بيان لها عن رغبتها في "الاستفادة من جميع كوادرنا العسكرية"^(٤). وقد وجّه هذا الإعلان ضربة قوية جديدة لقيادة الجيش الحر في الخارج التي بدا وكأنّها معزولة تماماً عن الفصائل العسكرية الموجودة في الداخل، دع جانباً الحديث عن تمثيلها أو قيادتها.

^١ "الجنرال فايز عمرو البيان التأسيسي للقيادة العسكرية المشتركة للثورة السورية"، مدونة أحمد جمعة، ٢٠١٢/٧/٢، انظر:

http://ahmadjoma.blogspot.co.uk/2012/07/blog-post_02.html

^٢ "لواء و١٨ عميداً نواة القيادة العسكرية المشتركة للثورة السورية"، موقع نيوز سنتر، ٢٠١٢/٧/١٤، انظر:

<http://www.scn-sy.com/ar/news/view/7591.html>

^٣ "رياض الأسعد يتهم".

^٤ "تشكيل «القيادة العسكرية المشتركة للثورة السورية» لجمع الفصائل المسلحة"، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٢/٧/١٥، انظر:

<http://goo.gl/bE2s7>

٤. الجيش الوطني السوري

بعد انشقاقه مطلع آب / أغسطس ٢٠١٢، طرح اللواء محمد حسين الحاج علي، والذي كان يشغل منصب مدير كلية الدفاع الوطني التابعة للأكاديمية العسكرية العليا في الجيش السوري، مبادرة لتوحيد فصائل المعارضة المسلحة السورية باعتباره الضابط العامل الأرفع رتبة الذي ينشق عن صفوف النظام. دعا اللواء الحاج علي إلى تشكيل جسم عسكري جديد يحمل اسم "الجيش الوطني السوري"، في إشارة إلى أنّ جيش النظام الذي يطلق النار على المدنيين ليس وطنياً^(١٥). وبعد اجتماع عقد في تركيا حضره مجموعة من كبار الضباط المنشقين تخلّته مفاوضات صعبة جرت أواخر آب / أغسطس ٢٠١٢، جرى الإعلان عن ولادة التشكيل الجديد^(١٦).

لم يعمر التشكيل الجديد طويلاً على الرغم من أنه ضم عدداً كبيراً من الضباط رفيعي الرتب. ويعود فشله في تكريس نفسه كإطار جامع لتشكيّلات المعارضة المسلحة السورية إلى جملة من الأسباب، أهمها: ظهوره كمحاولة من قبل القوى العلمانية لاحتواء الكتائب والقوى المسلحة الإسلامية بدعم من قوى خارجية وتذمّرها ما أثر في صورته سلبياً، وفشل اللواء الحاج علي في فرض نفسه كقائد ميداني بعد أن اكتفى بالمشاركة الإعلامية بعيداً عن أرض المعركة ما أفقده صدقته، وتضارب الأجندة الإقليمية والدولية وانقسامها في دعم تشكيّلات عسكرية بعينها تشكّل أدوات نفوذ وتأثير محلية لها^(١٧).

^{١٥} "اللواء المنشق حاج علي في مقابلة مع العربية"، قناة العربية، ٢٠١٢/٨/١٩، انظر:

<http://www.youtube.com/watch?v=-3hM2mXG3m4>

^{١٦} "الإعلان عن البيان التأسيسي للجيش الوطني السوري"، الموقع الرسمي للجيش السوري الحر، ٢٠١٢/٩/٣، انظر:

<http://goo.gl/7ACjr>

^{١٧} "الانقطاع واضح بين المعارضة والميدان: اللواء المنشق محمد الحاج علي: جيش وطني بدعم سوري وبلا أجندات خارجية"، موقع جريدة إيلاف، ٢٠١٣/٣/٢٢، انظر:

<http://www.elaph.com/Web/news/2013/3/800820.html>

٥. القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية

بعد مرور نحو شهر على محاولة تأسيس الجيش الوطني السوري، أعلنت كتائب ثورية وعسكرية عديدة في سوريا عن تشكيل "القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية" وفق ثلاثة مستويات رئيسة: القيادة العامة، ومكتب التنسيق والارتباط، والمجالس العسكرية للمحافظات السورية. ودعت القيادة المشتركة في بيانها جميع القوى الثورية والعسكرية في سوريا الانضمام إليها والعمل المشترك من أجل "خدمة الثورة والشعب وإسقاط النظام" ^(١٨).

وقد أعلن كل من المجلس الوطني السوري وتنظيم الإخوان المسلمين مباركتهم للتشكيل الجديد ^(١٩). وكان لافتاً مشاركة عدد كبير من السياسيين والناشطين ورجال الدين السوريين والعرب، ومن أبرزهم الشيخ أحمد الصياصنة، والشيخ عثمان الخميس، والدكتور فهد الخنة، والنائب محمد هايف المطيري، والشيخ محمد ضاوي العصيمي، والناشط السياسي عبد الله برغش، وشارك عبر الهاتف الشيخ محمد العريفi والشيخ سعد البريك ^(٢٠).

أثبتت القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية والكتائب المرتبطة بها حضوراً ميدانياً لافتاً خلال السنة الثانية للثورة، ويعود ذلك إلى التنسيق الكبير بين المجالس العسكرية والكتائب الإسلامية في العمليات الميدانية نتيجة مباركة شخصيات دينية مؤثرة وحضورها في مؤتمر التأسيس، وتوافر دعم مادي إقليمي كبير سواء على مستوى الدول أم الأفراد، ما جعل من

^{١٨} "الإعلان عن تشكيل القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية في سوريا"، موقع مركز الشرق العربي، ٢٠١٢/١٠/١، انظر:

<http://asharqalarabi.org.uk/ruiah/b-taqarir-707.htm>

^{١٩} "نائب مراقب الإخوان والمجلس الوطني فاروق طيفور لـ "الحياة": مجالس الداخل تقود المعركة وعلى رياض الأسعد الالتحاق بها بدلاً من الجلوس في أنطاكيا"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٢/١٠/٢٦.

^{٢٠} "الإعلان عن تشكيل القيادة المشتركة".

المجالس العسكرية الثورية أحد أهم الأذرع العسكرية الضاربة للمعارضة في مواجهة قوات النظام السوري.

٦. مجلس القيادة العسكرية العليا المشتركة

جرى الإعلان عن مجلس القيادة العسكرية العليا المشتركة في كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٢، في أنطاليا، ويعتبر المظلة العسكرية الأكثر شمولًا ونضجًا وتنظيمًا لقوى المعارضة المسلحة السورية ذات الصبغة العلمانية. وقد جاء تأسيسه بعد مشاورات واسعة بين قادة المجالس العسكرية والثورية وقادة أهم الألوية والكتائب في الداخل السوري. وجرى اختيار ٢٦١ ممثلاً عن القوى العسكرية المعارضة الموجودة فعليًا على الأرض في إطار ما أطلق عليه اسم "هيئة القوى الثورية". بعد ذلك، جرى انتخاب ٣٠ شخصًا بمعدل ستة أشخاص عن كل جبهة من الجبهات القتالية الخمس التي قسمت إليها سوريا (شمالية - ساحلية - وسطى - جنوبية - شرقية). وكان من بين هؤلاء ١١ ضابطًا و١٩ مدنيًا من الثوار، وتمت تسميتهم بمجلس القيادة العسكرية العليا المشتركة. وقامت هذه القيادة بانتخاب العميد سليم إدريس رئيساً لهيئة الأركان في الجيش السوري الحر^(٢١). لم يعلن التشكيل الجديد عن توجه أيديولوجي واضح، وذلك في مسعى لاستيعاب جميع القوى العسكرية الفاعلة على الأرض^(٢٢). وقد جاء تأسيسه مباشرةً عقب الإعلان عن تشكيل الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية في الدوحة في تشرين الثاني / نوفمبر ٢٠١٢ الذي شكل المظلة الأوسع للمعارضة السياسية السورية في الخارج.

^{٢١} "اللواء سليم إدريس: ندير كل معارك الداخل بغرفة عمليات مركزية... وعلى الائتلاف التعجيل بتشكيل الحكومة"، جريدة عكاظ، ٢٠١٣/١/٧.

^{٢٢} لم تضم جبهة النصرة وكتائب الفاروق وكتائب أحرار الشام - وهي أكبر ثلاث جماعات مسلحة في شمال سوريا - إلى القيادة الجديدة.

٧. سمات عامة للتشكيلات العسكرية ذات التوجه العلماني

على الرغم من تعدد التشكيلات العسكرية ذات النزعة العلمانية واختلافها، فإنّ هناك سمات مشتركة عامة تربط بينها، أهمها:

أنّ الإعلان عن تأسيسها جاء من قبل عسكريين منشقين عن النظام وحمل معظمها هذه الصفة؛ أي "عسكرية". ولما كان معظم المنشقين خاصة في الفترة الأولى للثورة يلوذون بالفرار خارج البلاد بسبب استمرار سيطرة النظام القوية على معظم مناطق سوريا، فقد جرى الإعلان عن تأسيس معظمها في الخارج، وخاصة في تركيا. ولذلك، يؤخذ عليها أنها لم تؤسس في الداخل، بخلاف الكتائب الإسلامية والجماعات الميدانية الأخرى التي تتضمن تحت لواء الجيش الحر. من جهة ثانية، جاء تشكيل معظم المجالس العسكرية برغبة من القوى الإقليمية والدولية المهمة بالأزمة السورية في ضبط الواقع العسكري للثورة، خشية الانزلاق نحو الفوضى أو سيطرة قوى إسلامية متشددة على الحكم. وقد لوحظ حضور ممثلين عن قوى إقليمية ودولية أغلب مباحثات تشكيل المجالس العسكرية^(٢٣).

الطروحات السياسية العامة: تتبّنّ بيانات تأسيس المجالس العسكرية صبغ عامة مثل السعي لإنشاء دولة ديمقراطية تحترم إرادة الشعب ومبادئ القانون الدولي. ولم يأت أكثرها على ذكر الإسلام أو دوره في سوريا ما بعد نظام الأسد، باستثناء القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية التي أشارت لهوية سوريا القائمة على الإسلام الوسطي واحترام حقوق الأقليات الدينية والعرقية والالتزام بالعهود والمواثيق الدولية وبما لا يخالف الشريعة الإسلامية^(٢٤). ويعزى ذلك إلى الحضور الديني اللافت في المجتمع التأسيسي، بالإضافة إلى رغبة التشكيل الوليد في مد الجسور مع الكتائب الإسلامية التي بدأت تثبت فاعليّة على الأرض، والتي أعرب بعضها عن رغبة في الانضمام لكنها طالبت بالإشارة إلى دور الإسلام لأسباب أيديولوجية أو لاعتبارات متعلقة بالممولين^(٢٥).

^{٢٣} محمد بلوط، "فرز استخباراتي غربي للجماعات الجهادية في سوريا تمهيداً لدعمها بالسلاح"، جريدة السفير، ٢٠١٢/١٢/٧.

^{٢٤} انظر بيان التأسيس: "الإعلان عن تشكيل القيادة المشتركة...".

^{٢٥} مقابلة عبر السكايب مع ناشط ميداني حضر الاجتماع التأسيسي للقيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية.

البنية التنظيمية: تتميز المجالس العسكرية بأنّها تقوم على بنية عسكرية واضحة لجهة تراتبية القيادة وتوزيع المهام والعمليات وفق منظور عسكري. مع ذلك تسود حالة من التشوش والإرباك معظم القيادات العسكرية فيها؛ فقد لوحظ مثلاً أنّ أغلب الشخصيات العسكرية الممثلة بهذه التشكيلات كانت جزءاً من تشكيلات عسكرية سابقة، حتى إنّ بعض الضباط البارزين كانوا موجودين في كل تشكيل جديد يجري الإعلان عن تأسيسه. كما شكّل انشقاق بعض الرتب العسكرية الرفيعة مثل "عميد" و"لواء" محور خلاف حول الأحقية في القيادة العسكرية؛ في بينما حاجج البعض بأسبيكته في الانشقاق، حاجج آخرون بضرورة التزام التراتبية العسكرية^(٢٦). وعلى الرغم من الفاعلية الميدانية لبعض التشكيلات العسكرية، فإنه لا يوجد ما يشير إلى قدرتها على ضبط الواقع العسكري المسلح للمعارضة السورية في ظل حالة الانقسام السائد، وعدم توافر أدوات الضغط الفاعلة لتحقيق ذلك.

غياب الثقة بالمعارضة السياسية: سعت معظم تيارات المعارضة السياسية في الخارج إلى التقرب من المجالس العسكرية في محاولة لاكتساب درجة من الشرعية أو الصدقية، وللإيحاء بأنّ لديها تأثير في القرار العسكري على الأرض، لكنّ معظم هذه المحاولات باعث بالفشل. فعلى الرغم من محاولة المجلس الوطني إنشاء قناة تواصل للتنسيق مع التشكيلات العسكرية للجيش الحر، فإنّ مكتب الارتباط والتنسيق العسكري في المجلس ظل إعلامياً وغير مؤثر، لكنّ الوضع بدأ يتغير قليلاً بعد الإعلان عن تشكيل مجلس القيادة العسكرية العليا المشتركة ومبركة الائتلاف الوطني لها.

ثانياً: القوى والكتائب ذات التوجه الإسلامي

إنّ الدوافع التي أدّت إلى عسكرة الثورة هي نفسها التي أدّت إلى "أسلمتها"، فالعنف الشديد الذي استخدمه النظام لقمع المتظاهرين المسلمين وجذوه إلى تبني خطاب طائفي منذ انطلاقتها، دفع

^{٢٦} "الانقطاع واضح بين المعارضة والميدان...".

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

الكثيرين إلى التحول نحو خطاب ديني لمواجهته. كما أنّ تطابق الاصطفاف الداخلي والإقليمي مع الانقسام المذهبي أدى تلقائياً إلى "أسلمة" الثورة أو ظهور قوى وتيارات تتبنى الإسلام السياسي - "السني" تحديداً - لمواجهة النظام وحلفائه. ومن أبرز القوى الإسلامية الموجودة على الساحة السورية وأكثرها فاعلية:

١. جبهة النصرة لأهل الشام

أعلنت الجبهة عن نفسها عبر قائدتها أبو الفتح محمد الجولاني في ٢٤ كانون الثاني / يناير ٢٠١٢، ودعت في بيانها الأول السوريين إلى الجهاد وحمل السلاح في وجه النظام السوري^(٢٧). حازت الجبهة منذ آذار / مارس ٢٠١٢ دعم العديد من المنظرين الجهاديين، ومنهم أبو محمد الشنقيطي وهو عضو بارز في اللجنة الفقيهة لمنبر التوحيد والجهاد، والشيخ أبو محمد الطحاوي وهو سلفي أردني بارز، والشيخ أبو الزهراء الزبيدي وهو جهادي لبناني معروف، وهاني السباعي وهو شيخ مصرى ينتمي إلى تيار السلفية الجهادية. وقد قام هؤلاء بالترويج للجبهة والمساعدة في تمويلها^(٢٨).

ترى الجبهة أنّ إسقاط نظام الأسد هو الخطوة الأولى نحو إقامة دولة إسلامية، كما تبني خطاباً حاداً تجاه الأقليات الدينية، وتنعت العلوبيين بـ "النصيريين" والشيعة بـ "الروافض"، وتعتبر نفسها المدافع الأول عن السنة^(٢٩). تتألف الجبهة في معظمها من مقاتلين سوريين من خبروا القتال

^{٢٧} "هل هو الجهاد؟ المعارض الأصولية في سوريا"، مجموعة الأزمات الدولية، تقرير الشرق الأوسط، رقم ١٣١، ١٢ تشرين الأول / أكتوبر ٢٠١٢، ص ١٠.

^{٢٨} للمزيد: المرجع نفسه؛ إضافة إلى هارون ي. زيلين، "الجهاديون في سوريا - يمكنك أن تجدهم على شبكة الإنترنت"، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، ٢٠١٢/١٠/١٨.

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/jihadists-in-syria-can-be-found-on-the-internet>

^{٢٩} كميل الطويل، "جبهة النصرة: ٥ آلاف من خلايا العراق يقاتلون النظام أيديولوجياً"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٣/١/٩.

في "ساحات الجهاد" في العراق وأفغانستان والشيشان وغيرها. كما تضم مقاتلين من العرب والأتراك والأوزبك والشيشان والطاجيك وقلة من الأوروبيين^(٣٠). وقد زاد إقبال المقاتلين السوريين على الانضمام إلى الجبهة ليس لأسباب أيديولوجية، بل بسبب بسالتها في القتال وإعراضها عن المكاسب المادية، وقوة مصادر تمويلها الخارجي^(٣١).

اشتهرت الجبهة بإعلان مسؤوليتها عن هجمات انتشارية كبيرة ومؤثرة، وتستخدم إستراتيجيات إعلامية شبيهة بتلك التي تعتمدتها القاعدة والتنظيمات القريبة منها، كما توجد علاقات وثيقة تربط المنفذ الإعلامي الرسمي التابع للنصرة وهو "مؤسسة المنارة البيضاء للإنتاج الإعلامي" بمنتديات القاعدة الإلكترونية مثل "شبكة شموخ الإسلام" و"شبكة الفداء الإسلامية"^(٣٢). أعلنت الجبهة أخيراً بيعتها لزعيم تنظيم القاعدة أيمان الظواهري^(٣٣)، وذلك تفادياً لمحاولة الهيمنة على قرارها من قبل الفرع العراقي للقاعدة، والذي أعلن زعيمه أبو بكر البغدادي دمج تنظيمه مع جبهة النصرة وإعلان قيام "الدولة الإسلامية في العراق والشام"^(٣٤).

تميز الجبهة بتخصيص جزء من نشاطها ومواردها للعمل الاجتماعي، فقد أنسست بالتعاون مع حركة الفجر. وأحرار الشام "حركة الشباب المسلم"، كجهاز مدني يقوم بالنشاطات الاجتماعية

^{٣٠} "تقرير بريطاني: نحو ٦٠٠ شخص ينتمون إلى ١٤ دولة أوروبية يقاتلون في سوريا... وعدد الأجانب قد يصل إلى ٥٥٠٠ مقاتل"، موقع سوريا نيوز، ٣/٤/٢٠١٣، انظر:

http://www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=158401

^{٣١} حسين جمو، "جبهة النصرة: إستراتيجية خشنة للاستيلاء الناعم على الثورة عبر ٣ مداخل"، جريدة الحياة اللندنية، ٨/٤/٢٠١٣، انظر:

^{٣٢} هارون ي. زيلين، "صعود تنظيم «القاعدة» في سوريا"، معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى، ٦/١٢/٢٠١٢، انظر:

<http://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/view/the-rise-of-al-qaeda-in-syria>

^{٣٣} "جبهة النصرة تبليغ أيمان الظواهري"، جريدة الحياة اللندنية، ١١/٤/٢٠١٣، انظر:

^{٣٤} "القاعدة في العراق: جبهة النصرة السورية امتداد لنا"، جريدة الحياة اللندنية، ١٠/٤/٢٠١٣، انظر:

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

المدنية لا سيما في مجال الإغاثة، وقد قامت هذه الحركة بالمساهمة في تأمين الخبز للمدنيين في مدينة حلب^(٣٥).

٢. الجبهة الإسلامية السورية

أعلن عن تأسيسها في ٢١ كانون الأول / ديسمبر ٢٠١٢، أي مباشرة عقب الإعلان عن تشكيل مجلس القيادة العسكرية العليا المشتركة في أنطاليا، لذلك يعتبر البعض أنها جاءت ردًا عليه. وهي عبارة عن ائتلاف واسع يضم عدًّا كبيرًا من الكتائب الإسلامية أهمها:

كتائب أحرار الشام: من أبرز الجماعات السلفية في سوريا، وتتكون مما يقارب ٨٦ كتيبة منتشرة في جميع المحافظات السورية بزعامة شخص يُكنى بأبي عبد الله^(٣٦). وفي أول تسجيل صوتي لها، أعلنت كتائب أحرار الشام صراحة أنَّ هدفها هو استبدال دولة إسلامية بنظام الأسد، إلا أنها رأت أيضًا أنَّه ينبغي الأخذ في الاعتبار الحالة الذهنية الراهنة للسكان المضللين من قبل المؤسسة الدينية التابعة للنظام، كما وصفت الثورة بأنَّها جهاد ضد المؤامرة الصفوية الساعية إلى تأسيس دولة شيعية تشمل إيران والعراق وسوريا ولبنان وفلسطين^(٣٧). وانعكس توسيع النطاق الجغرافي لعملياتها العسكرية على حضورها الكبير في وسائل الإعلام، فبحلول حزيران/يونيو ٢٠١٢ باتت توصف بأنَّها التنظيم العسكري الأكبر في جبهة ثوار سوريا حديثة النشأة، وهذه الأخيرة عبارة عن تحالف سياسي عسكري يهيمن عليه المسلمين. وعلى الرغم

^{٣٥} "جبهة النصرة بذراعها الإغاثي تستثمر أزمة الخبز لكسب الناس"، موقع زمان الوصل، ٢٠١٢/١٢/٨، انظر:

<http://www.zaman-alwsl.net/readNews.php?id=33710>

^{٣٦} للمزيد انظر الموقع الرسمي لكتائب أحرار الشام:

<http://www.ahraralsham.com>

وانظر أيضًا حازم الأمين، "اللحية المحلية لـ «كتائب أحرار الشام» تعيق التحاقها بـ «الجهاد العالمي»"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٢/٨/٢١.

^{٣٧} للمزيد يمكن مراجعة الموقع الرسمي لكتائب أحرار الشام.

من أنّ أحرار الشام كانت من أبرز المساهمين في إنشاء هذا التحالف، فإنّها علّقت مشاركتها فيه بعد يوم واحد فقط من تأسيسه، في إشارة إلى عدم ارتياحها للهجة المعتدلة التي تبناها. بعد ستة أسابيع، عادت وألغت قرارها تعليق عضويتها بعد تبني التحالف لميثاق سياسي جديد يدعو صراحة إلى تأسيس دولة إسلامية، ويؤكد الالتزام "بالمعاهدات والاتفاقيات الدولية طالما أنها لا تتعارض مع مبادئ الشريعة". وقد اعتبر الميثاق حينها محاولة للتوفيق بين الخط الإسلامي الذي أصرت عليه أحرار الشام وحلفاؤها من جهة وضرورات الحفاظ على علاقات إيجابية بالأطراف الدولية الداعمة للثورة من جهة أخرى^(٣٨). تقوم أحرار الشام بنشاطات مجتمعية عديدة منها توزيع المواد الإغاثية على السكان المحليين.

لواء الحق (حمص): أُعلن عن تأسيسه في آب / أغسطس ٢٠١٢، وهو عبارة عن تحالف عدة مجموعات إسلامية عسكرية هي: كتيبة أتباع الرسول، وكتيبة الأنصار، وكتيبة شهداء بابا عمرو، وكتائب الفتح المبين التي تضم بدورها: كتيبة الشيخ محمود الفراتي وكتيبة الصقر وكتيبة الهدى وكتيبة سهام الليل وكتيبة سباع البر وكتيبة أحرار القلمون وكتيبة الناصر لدين الله. وجرى تعيين العقيد المظلي عبد الرحمن صوبيص قائداً عسكرياً للواء^(٣٩). وفي أول بيان رسمي له، تعهد لواء الحق بمتابعة "الجهاد" إلى أن يتم استبدال الحكم الإسلامي العادل بنظام الأسد^(٤٠). وقد برر اللواء دواعي تأسيسه بأنّه محاولة لتوحيد صفوف الثوار في حمص، إلا أنّه

^{٣٨} "هل هو الجهاد؟ ..."، ص ١٥.

^{٣٩} "كتائب حمص تتحد تحت راية لواء الحق: كتيبة الفاروق تتغيب لأسباب مجهولة"، موقع نيوز سنتر، ٢٠١٢/٨/١٥، انظر:

<http://www.scn-sy.com/ar/news/view/7868.html>

^{٤٠} يمكن الاطلاع على بيان تأسيس لواء الحق على الرابط:

<http://www.nationalkuwait.com/vb/showthread.php?t240951>

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

فشل مع ذلك في اجتذاب فصائل ثورية بارزة في المدينة^(٤١). كما شاب التوتر علاقاته بفصائل أخرى مثل كتائب الفاروق^(٤٢).

حركة الفجر الإسلامية في حلب وريفها: وهي حركة سلفية جهادية تقوم بعمليات ميدانية بالتعاون مع قوى إسلامية أخرى مثل جبهة النصرة وأحرار الشام. وتظهر بعض مقاطع الفيديو المنشورة للحركة على الإنترنت قربها من الشيخ أبو بصير الطرسوسي^(٤٣) (وهو شيخ سوري سلفي كان يقيم في لندن قبل أن يعود إلى سوريا لانضمام إلى الثورة). ويقوم الطرسوسي بدور مهم في توجيه العديد من التنظيمات الإسلامية وإرشادها ومنها "حركة الفجر" وكتائبها المسلحة، والتي تعتبر كتيبة "شيخ الإسلام ابن تيمية" من أهمها^(٤٤). تضم الحركة حالياً نحو ١٨ كتيبة وسرية منتشرة في حلب وريفها، وفي معرة النعمان وأجزاء من ريف إدلب^(٤٥)، ويوجد لها أيضاً هيئة شرعية ومكتب دعوي يقوم بإصدار المطويات الدعوية و"مجلة الشام"

^{٤١} "هل هو الجهاد؟ ...".

^{٤٢} مقابلة مع أحد الناشطين الميدانيين في حمص الذي كشف أن التوتر بين الطرفين وصل حد تبليغ قوات النظام عن نفق يربط حي جورة الشياح بحي آخر في المناطق الخاضعة لسيطرة النظام، وتستخدمه كتائب لواء الحق لإدخال السلاح والذخيرة والغذاء، وعندما علمت كتائب الفاروق بالأمر طلبت ما يعادل ٤٠٪ من أي شيء يجري إدخاله، وهذا ما رفضته كتائب لواء الحق، مما دفع الفاروق لإبلاغ قوات النظام بأمر النفق حيث قامت بردمه.

^{٤٣} شبكة سنام الإسلام:

<http://snam-s.net/vb/showthread.php?t=15133>

وقد جرى حجب الشبكة عن الإنترنت لاحقاً، وقد أشارت الشبكة إلى ذلك:

<http://aljihad.com/vb/showthread.php?p76319>

^{٤٤} "أبو بصير الطرسوسي يحضر من صحوات شامية"، موقع زنوبيا، ٢٠١٢/٩/٩، انظر:

http://www.znobia.com/?page=show_det&select_page=16&id=14287

^{٤٥} صفحة حركة الفجر الإسلامية على الفيسبوك، ٢٠١٢/٩/٣٠، انظر:

<https://www.facebook.com/AlfajrArmy>

الإسلامية" التي يجري توزيعها على الكتائب، وللحركة أيضاً مكتب إغاثي لتوزيع المعونات على المحتجين^(٤٦).

تخرط الجبهة الإسلامية السورية عموماً في العمل الميداني، فهي إلى جانب كونها فصيلاً عسكرياً مقاتلاً تهتم بالنشاط المدني بمساراته "المتعددة السياسية والدعوية والتربوية والإغاثية والإنسانية المنضبطة بأحكام الشرع"، كما جاء في بيانها التأسيسي الذي ترك الباب مفتوحاً أمام "جميع الكتائب الإسلامية العاملة على أرض سوريا الحبيبة" للانضمام إليها^(٤٧). ويبدو أنَّ الجبهة الإسلامية لتحرير سوريا هي إما تطوير لجبهة ثوار سوريا باعتبار أنَّ الفصيل الأبرز فيها "أحرار الشام" المؤسس لجبهة ثوار سوريا موجود في كلا التنظيمين، أو أنَّ الجبهة الإسلامية هي نتاج جديد وأنَّ أحرار الشام قد انسحبت من جبهة ثوار سوريا لتنضم للتشكيل الجديد من دون صدور تصريح بخصوص ذلك.

٣. تجمع أنصار الإسلام في دمشق وريفها

أعلن عن إنشاء هذا التجمع في آب / أغسطس ٢٠١٢، وتمثل مهمته، كما جاء في بيان تأسيسه، بالعمل على توحيد الحراك الثوري والسياسي وإقامة الدولة الإسلامية وبناء المجتمع الإسلامي. يضم التجمع: كتائب الصحابة، ولواء الحبيب المصطفى، ولواء الإسلام، ولواء الفرقان، وكتيبة حمزة، وكتائب درع الشام، ولواء أحفاد الرسول، ومجموعات أخرى^(٤٨).

^{٤٦} المرجع نفسه.

^{٤٧} ١١ "كتيبة مقاتلة تعلن تشكيل الجبهة الإسلامية السورية لاسقاط الأسد وبناء مجتمع إسلامي حضاري"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٢/١٢/٢٢.

^{٤٨} نص ميثاق التجمع موجود على موقع الناقد الإعلامي، ٢٠١٢/٨/١٠، انظر:

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

كتائب الصحابة: تأسست في آذار / مارس ٢٠١٢، وكانت في أول الأمر تتبع للمجلس العسكري في دمشق بقيادة العقيد خالد الحبوس^(٤٩). أعلنت الكتائب مسؤوليتها عن العملية الأولى التي استهدفت خلية إدارة الأزمة في دمشق في ٢٠ أيار / مايو ٢٠١٢ عبر دس السم في طعام أعضاء الخلية. ويلاحظ في شعار كتائب الصحابة المعلن على صفحتها على الفيسبوك تبنيها علم الجيش السوري الحر بدلاً من الراية الإسلامية.

ألوية وكتائب الفرقان: وتضم كتيبة شهداء كناكر، وكتيبة وصال الشام، وكتيبة ابن تيمية، وكتيبة الأنصار، وسرية المهام الخاصة، ولواء أبو بكر الصديق، وكتيبة زيد بن ثابت، وكتيبة أسود الفرقان، وكتيبة ضرار بن الأزور، وكتيبة مجاهدي الصالحة، وتجمع تحرير القنيطرة، وكتيبة الإخلاص، ولواء علي بن أبي طالب، ولواء عمر بن الخطاب، ولواء عثمان بن عفان^(٥٠). لها حضورها خارج دمشق وريفها من خلال كتائب وسرايا تتبع لها في محافظات أخرى مثل سرايا حمص، وكتيبة علي بن أبي طالب في إدلب، وغيرهما. يستحضر بيان التأسيس للجهاد لإعلاء كلمة الله وإقامة دين الحق والحفاظ على الأمن والسلم الأهلي عقب سقوط النظام^(٥١). تنشط بشكل أساسي في منطقة الغوطة الغربية (عرطوز وداريا والكسوة والمعضمية) ويلاحظ حضورها أيضاً في مناطق دمشق الجنوبية.

لواء الإسلام: جبهة جهادية عسكرية سياسية مقاتلة خاضعة لهيكلة تنظيمية عسكرية كاملة يقودها زهران عبد الله علوش، وهو خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وينشط في

^{٤٩} "إعلان تشكيل كتائب الصحابة في دمشق وريفها"، موقع مختارات من الثورة السورية، ٢٠١٢/٣/٣٠، انظر:

<http://syrianchange.com>

^{٥٠} مدونة ثورة السوريين الأحرار، ٢٠١٢/٥/٥، انظر:

http://thawrtalsoryienalahrar.blogspot.co.uk/2012/05/blog-post_1286.html

^{٥١} بيان تأسيس ألوية الفرقان ٢٠١٢/١١/٢٤، انظر:

<http://www.youtube.com/watch?v=TLAJUg9g6FI>

مدينة دوما وضواحيها منذ آذار / مارس ٢٠١٢^(٥٢). على عكس الكتائب الإسلامية الأخرى المنضوية تحت راية الجيش الحر، اختار اللواء العلم الأسود، ويقوم بعملياته انطلاقاً من تفسيره لمفهوم الجهاد. تتميز مواده الدعائية بصبغة دينية قوية ودلالات سافرة مغايرة للخطاب الإسلامي المنتشر لدى كتائب الجيش السوري الحر الأخرى. كما تظهر في موقعه صور وإسهامات لبعض الشخصيات الدينية مثل الشيخ عدنان العرعور، والشيخ نبيل العوضي. ولللواء صفحة رسمية على الفيسبوك تهدف لنشر الفكر السلفي بين مقاناتي اللواء وتوضيح مواقفه الأيديولوجية من مختلف القضايا المطروقة^(٥٣). وقد شكل اللواء مجلس شورى وهيئة شرعية ناظمة^(٥٤).

لواء الحبيب المصطفى: تأسس في كانون الثاني / يناير ٢٠١٢، في منطقة الغوطة الشرقية في عربين، ويضم كتبة هارون الرشيد، وكتبية ذي النورين، وكتبية عبد الله بن سلام في سقبا، وكتبية الإمام الحسين، وسرية الهندسة، ولواء أم القرى، وكتبية القعقاع بن عمرو التميمي وغيرها^(٥٥).

لواء أحفاد الرسول: تأسس في تموز / يوليو ٢٠١٢ ويتتألف من كتبة شهداء بيت جن، وكتبية أحباب المصطفى، وكتبية الشهيد أبو عبيدة، وكتبية أحرار بيت جن، ولواء أبو دجانة، وكتبية عمر الفاروق، ولواء الفاتحين. وما جاء في بيان تشكيل اللواء أنه يهدف إلى "إعلاء كلمة الله

^{٥٢} مقابلة أجراها الباحث عبر سكايب مع أحد قادة اللواء بتاريخ ٢٠١٣/٢/٢٢.

^{٥٣} "هل هو الجهاد؟ ..."، ص ١٧.

^{٥٤} "تشكيل مجلس الحل والعقد في دمشق"، منتدى العقاب، ٢٠١٢/١٢/١، انظر:

<http://www.alokab.com/forum/index.php?showtopic=4330>

^{٥٥} للمزيد انظر الموقع الرسمي لـلواء الحبيب المصطفى على الإنترنت:

<http://lewaa-almostafa.com>

وفي صفحاته الفيسبوك:

<https://www.facebook.com/lewaa.almostafa>

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

ونصرة دينه والمستضعفين وذلك عبر إعلان الجهاد^{٥٦}). أعلن تجمع أنصار الإسلام إعادة هيكلة بنائه التنظيمية، حيث خرجت منه بعض الفصائل وكان أبرزها لواء الإسلام^{٥٧}). وقد أثارت هذه الخطوة سجالاً علنياً بين التجمع واللواء، حيث أعلن لواء الإسلام في بيان صادر عن مكتبه السياسي تفاجؤه بهذه الخطوة ونفي أنه طلب الخروج من التجمع^{٥٨}). وأتبع اللواء هذا البيان بإعلان انضمامه إلى جبهة تحرير سوريا^{٥٩}، علمًا أنَّ تجمع أنصار الإسلام كان قد أصدر بياناً في وقت سابق استهجن فيه تضمين اسمه في الإعلان عن إنشاء جبهة تحرير سوريا وقت تأسيسها^{٦٠}، وقد استدعاي هذا الرد رداً مقابلًا من لواء الإسلام^{٦١}.

٤. جبهة تحرير سوريا

هي تجمع لكتائب إسلامية جرى الإعلان عنها في أيلول/ سبتمبر ٢٠١٢ وتضم الكتائب والألوية التالية، لواء صقور الشام (إدلب وحماء)، تجمع أنصار الإسلام (دمشق وريفها)، كتائب الفاروق (حمص)، لواء عمرو بن العاص (حلب)، مجلس ثوار دير الزور. وقد أكدت الجبهة على "الالتزام بالإسلام كونه المرجعية الأساسية للتشريع مع التأكيد على احترام التعددية الدينية

^{٥٦} www.youtube.com/watch?v=vMQ7Zwue5tw

^{٥٧} الصفحة الرسمية لواء الحبيب المصطفى على الفيسبوك.

^{٥٨} منتدى العقاب، انظر:

<http://www.alokab.com/forum/index.php?showtopic=4779>

^{٥٩} www.youtube.com/watch?v=GhhnFtvNFjo

^{٦٠} موقع لواء الحبيب المصطفى، انظر:

<http://www.lewaa-almostafa.com/?op=A&id=128>

^{٦١} صفحة كتائب الصحابة الرسمي على الفيسبوك، انظر:

<https://www.facebook.com/KataibAlShaba>

والقومية في المجتمع"، كما أفادت بأنّها ستساهم "في ملء الفراغ المؤسسي والأمني في الفترة الانقلالية بعد سقوط النظام"^(٦٢).

وفي حين تبدو جبهة التحرير حركة جهادية، فإنّها ليست تحالفًا أيديولوجيًا، إذ تضم إسلاميين معتدلين جنباً إلى جنب مع جماعات جهادية سلفية. يمثل الجبهة في كثير من الأحيان مازن شيخاني، وهو المتحدث الإعلامي باسم الجبهة ومقره لندن، لكن زعيمها الفعلي هو أحمد عيسى الشيخ (الملقب أبو عيسى) من قرية سرجا التابعة لجبل الزاوية في إدلب وهو زعيم كتائب صقور الشام التي تعد واحدة من أكبر الجماعات السلفية في شمال سوريا وتسيطر على جزء مهم من منطقة جبل الزاوية وكذلك المناطق الطرفية في إدلب وشمال محافظة حماة^(٦٣).

وقد جاء البيان التأسيسي للجبهة لافتاً لجهة اعتداله ونضجه السياسي، إذ حدد الأهداف من قيام الجبهة، وهي: "أولاً، إسقاط نظام الأسد بجميع أركانه. ثانياً، حماية جميع السوريين - على اختلاف معتقداتهم وقومياتهم ومذاهبهم - وحماية ممتلكاتهم الخاصة والعامة. ثالثاً ضبط السلاح وحفظ الأمن بعد إسقاط نظام الأسد حتى ينال الشعب حريته ويقرر مستقبله بعون الله. رابعاً التمسك بسيادة سوريا ووحدتها واستقلالها"^(٦٤). ويشكل "لواء صقور الشام" النقل العسكري الأكبر في جبهة تحرير سوريا.

لواء صقور الشام:، تأسس في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١١، وخلال بضعة أشهر بدا وكأنّه القوة الضاربة الأساسية للثورة في إدلب، إذ يقدر عدد أفراده بنحو ٤٠٠٠ ألف مقاتل. وفي أول فيديو أطلقته المجموعة يصور هجماتها، أكد قادتها أحمد عيسى الشيخ بأنّها جزء من الجيش السوري الحر. لكن اللواء أُسقط في الأسابيع التالية الإشارة إلى الجيش الحر وبدأ يتبنى خطاباً

^{٦٢} الصفحة الرسمية لجبهة تحرير سوريا على الفيسبوك، انظر:

<https://www.facebook.com/JbhtThryrSwrya?ref=ts&fref=ts>

^{٦٣} Aron Lund, "Holy Warriors: A Field Guide to Syria's Jihadi Groups," *Foreign Policy*, 15/10/2012, at: http://www.foreignpolicy.com/articles/2012/10/15/holy_warriors

^{٦٤} الصفحة الرسمية لجبهة تحرير سوريا على الفيسبوك.

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

سلفيًا على نحو متزايد، من خلال مقاطع فيديو وبيانات تصدر باسمه. ومنذ ذلك الحين ظهر الشيخ في فيديو يصدر فيه التعليمات لمقاتليه، ويوضح لهم بأنّ هدفهم النهائي يجب أن يكون تأسيس دولة إسلامية^(٦٥). بدأ اللواء في الآونة الأخيرة يخفف من غلواء خطابه السلفي بتضمينه وجهات نظر أكثر اعتدالًا. في لقاءاته الإعلامية خاصة مع الصحفيين الغربيين، يقرّ الشيخ ومسؤولون آخرون في اللواء أنّ هدفهم النهائي هو إقامة دولة إسلامية، لكنّهم يتحدثون أيضًا عن ضمان الحقوق الديمقراطية للأقليات، وهو موقف أقرب إلى ذاك الذي يتبناه تنظيم الإخوان المسلمين منه إلى الخطاب السلفي التقليدي^(٦٦).

٥. كتائب الأنصار

تصف كتائب الأنصار، النشطة منذ آذار/ مارس ٢٠١٢ في مدينة حمص وضواحيها، مهمتها الأساسية بأنها الجهاد. وهي تشجع على السلوك السلفي "الصحيح" وتحث صراحة عن الطبيعة المذهبية للصراع الدائر. تبني المجموعة العلم الإسلامي الأبيض، وتنصي للعلاقة مع فصائل المعارضة الأخرى التي تصف نفسها بالسلفية، وتلاحظ "البيئة الفاسدة" التي عمل بها العديد من المقاتلين قبل الثورة (سواء في الجيش أو في الحياة المدنية). وتصف المواد المختلفة الموجودة على موقعها على الإنترنت المقاتلين الذين لا يمارسون الشعائر الدينية بأنهم "أخوة مرضى" تتبعهم معالجتهم^(٦٧).

^{٦٥} "هل هو الجهاد؟ ...، ص ١٦.

^{٦٦} المرجع نفسه، ص ٢٠.

^{٦٧} المرجع نفسه، ص ٢٢.

٦. سمات عامة لكتائب والألوية الإسلامية

على الرغم من أنّ مرجعيتها جميعاً القرآن والسنة، فإنّ الكتائب والقوى الإسلامية المسلحة في سوريا لا تتضمن في كيان سياسي أو عسكري جامع لها، كما أنها تتباين فكرياً، فمنها من يبني الفكر الجهادي العالمي الأقرب إلى القاعدة، ومنها من يبني خطاباً إسلامياً وسطياً، فيما تصف الأغلبية نفسها بالسلفية. من جهة أخرى، وعلى الرغم من أنّ معظم هذه القوى تنظر إلى صراعها مع النظام باعتباره "جهاذاً ضد نظام كافر علماني"، فإنّ نبرة الخطاب الأيديولوجي تتباين من حيث الشدة والطرح. ويمكن عموماً تحديد سمات عامة لكتائب والقوى الإسلامية أهمها:

القدرة على التأثير: تمتلك هذه الكتائب مقومات كبيرة للتأثير في الشارع المنقضى منها: الخطاب الديني، وقوة التمويل، وشبكات العمل الإغاثية النشطة والمستندة إلى موارد مالية كبيرة نسبياً، وشبكة علاقات اجتماعية واسعة، والذراع الإعلامية الفاعلة، أي أنها تمتلك قدرات أكثر من غيرها من فصائل المعارضة المسلحة وذلك في إطار متكامل يلبي احتياجات الشارع المنقضى. بيئة العمل: في قراءة معمقة لبنيّة هذه الكتائب وتكوينها الاجتماعي والطبيقي نجد أنّ معظمها يرثي المثلث، إذ تتوفر لها بيئة العمل المثلالية، والتي تبدأ من شعور الريف بالإهمال والتهميش، إلى شبكة العلاقات الاجتماعية المتينة، وصولاً إلى الطابع المحافظ للريف السوري عموماً. طروحاتها السياسية: تجمع هذه الكتائب والمجموعات على أنّ سوريا المستقبل يجب أن تكون إسلامية، ولكنها تختلف في طرح تحقيق هذا الهدف وكيفيته، ففيما يذهب بعضهم إلى الدعوة لإنشاء خلافة إسلامية، يريدها غيرهم دولة إسلامية وطنية تحكمها الشريعة، في حين تبدو الفكرة عند آخرين مجرد شعار جذاب يحظى بالقبول شعبياً.

ثالثاً: العلاقة بين تشكيلات المعارضة العسكرية السورية

بدأت العلاقة بين تشكيلات المعارضة العسكرية السورية تطرح نفسها بقوة على طاولة البحث مع تبيّن خطوط فرز واضحة على الأرض بين التيارين الرئيسيين فيها، وما رافق ذلك من تجلّيات، فتارة تتشبّث نزاعات تصل حد التصفيّة المتبادلّة كما حصل بين كتيبة الفاروق وجبهة

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

النصرة في الشمال، وتارة تدخل هذه العلاقة طور التعاون والتنسيق الميداني الشامل كما حصل في الاستيلاء على الرقة.

في العموم، يمكن وصف العلاقة بين مكونات المعارضة المسلحة السورية بأنها علاقة متغيرة ذات ديناميكية معقدة تؤثر فيها عدة عوامل أهمها: تنوع المواقف والرؤى الأيديولوجية، والتمويل، والعلاقة مع المعارضة السياسية. ولعل ما يجعل هذا الموضوع مهماً وذا طبيعة حساسة هو النتائج المهمة التي تترتب عليه، فهي إما تسهم في تسريع إسقاط النظام، أو تؤدي إلى استمرار حالة الاستعصاء القائمة، أو حتى في ظهور أنماط من الصراعات الجانبية والتي قد تدخل البلاد في حالة من الفوضى الشاملة.

١. المواقف والطروحات الأيديولوجية

تثير المواقف الأيديولوجية للمعارضة العسكرية السورية الكثير من الإشكالات النابعة بالضرورة من غياب جسم موحد جامع لها، فنحن أمام تشكيلات وكتائب كثيرة ومتباينة اصطلحنا لضرورات البحث على تقسيمها إلى تيارين أساسيين هما: القوى ذات الميول العلمانية، أي المجالس العسكرية، والكتائب الإسلامية. ويوجد داخل كل معسكر من التنوع والتباين الفكري والعقائدي ما يلغي أي وحدة أيديولوجية للمعارضة المسلحة، وهو ما يفتح الباب أمام خلافات فكرية قد تتجلى نتائجها بواقع ميدانية ملموسة.

أ. الطروحات الأيديولوجية للمجالس العسكرية

لم تتصدّ المجالس العسكرية أو الفصائل المكونة لها للقضايا الأيديولوجية بشكل محدد أو تطلق برامج سياسية واضحة. وبكلمة أكثر دقة، فإنّ المكون الفكري أو الأيديولوجي الناظم لعمل المجالس العسكرية هو أقرب لمبادئ عامة جرى طرح معظمها على لسان قياداتها في إعلان التأسيس. ومن أهم ما تُجمع عليه المجالس العسكرية، هو تأكيدها على عدم الانتفاء لتيار

سياسي أو عقائدي معين، والتعامل بمسؤولية مع المجتمع الدولي، وإنشاء دولة ديمقراطية تضمن حقوق جميع مواطنها وحرياتها^(٦٨).

يمكن تفسير تبني المجالس العسكرية لهذا الخطاب برغبتها في إبراز نفسها بديلاً موثوقاً يمكن التعامل معه من قبل الخارج؛ الغرب تحديداً. كما ينبع هذا الخطاب العام عن غياب الأفق السياسي لدى هذه المجالس وعدم امتلاك قادتها رؤية سياسية محددة يمكن التعبير عنها بلغة فكرية متماسكة، ويعود السبب في ذلك إلى أن جميع الضباط المنشقين هم من منتسبي جيش النظام، الذي سيطرت عليه مدرسة البعث الفكرية ل نحو نصف قرن.

من الواضح أيضاً أن قادة المجالس العسكرية حاولوا تمييز أنفسهم عن الجماعات الإسلامية وخطابها الديني، باستثناء القيادة المشتركة للمجالس العسكرية الثورية التي دعت إلى إقامة دولة سورية مستقلة بهويتها العربية الإسلامية الوسطية القائمة على العدل والمساواة واحترام حقوق الإنسان والأقليات العرقية والدينية، والالتزام بالعهود والمواثيق الدولية والعربيّة والإقليمية وبما لا يخالف الشريعة الإسلامية^(٦٩).

وفي المجمل، تعاني المجالس العسكرية ضعف الترويج لأفكارها، نظراً لغياب أدوات التواصل مع القاعدة الشعبية، وقلة وعيها بأهمية هذا الموضوع أصلاً، فضلاً عن افتقادها إلى شخصية كاريزمية قادرة على الحشد والترويج لرؤيه سياسية شاملة يتبعها الشارع المعارض.

^{٦٨} للمزید: "وثانق الجيش الحر: ميثاق شرف وبيان التأسيس وقرارات ...".

^{٦٩} "الإعلان عن تشكيل القيادة المشتركة للمجالس العسكرية...".

ب. الظروحت الأيديولوجية لكتائب الإسلامية

على الرغم من أنّ الكتائب الإسلامية تعتمد الشريعة إطاراً عاماً ناظماً لعملها، فإنّها تطرح رؤى متعددة تجاه قضايا الأقليات، وشكل الدولة المستقبلية، والعقود والمواثيق الدولية. وهي تتفق في العموم على ما يلي: النّظرة المذهبية للصراع (وإن كانت تتبادر من حيث الشدة والطرح)، والسعى لإقامة دولة إسلامية، وتبني السلوكيات والمظاهر الإسلامية في الحياة اليومية. لكن من المفيد التتبّيّه أيضًا إلى أنّ لدى البعض منها مواقف أقلّ حدة تجاه العلوبيين كما هو حال لواء الإسلام؛ فعلى الرغم من تبنيه خطاباً سلفياً، فإنّه يرفض فتاوى قتل العلوبيين واستهدافهم، ويستعيض عن ذلك بالدعوة إلى مقاتلة قوات النظام بغض النظر عن طائفتهم، ويرى أن الدعوات إلى التطهير المذهبي ضد المذهبين العلوبيين غير مشروعة دينياً ولا تتسمج مع المصالح الأوسع للثورة^(٧٠).

تأتي جاذبية الكتائب الإسلامية وقوّة تأثيرها عموماً من امتلاكها أدوات تواصل فاعلة تتمثل في المساجد، والدعاة، ورجال الدين، والمساعدات الإغاثية، وتوظيفها في سبيل الدعوة لأفكارها ومحاجمة خصومها، خاصة المجالس العسكرية، التي تعتبر أنّها أدوات لمشروع خارجي بعيد كل البعد عن فكر الإسلام وتعاليمه^(٧١).

يشكل تبادر الرؤى والموافق الأيديولوجية أحد أهم العوائق التي تمنع تشكيل جسم موحد للمعارضة العسكرية السورية، وقد جرت بهذا الخصوص مناظرة حادة بين اثنين من المنظرين الجهاديين هما أبو محمد الشنقيطي وأبو بصير الطرطوسى بشأن مشروعيّة الانضمام إلى

^{٧٠} "هل هو الجهاد؟ ...، ص ١٨.

^{٧١} أفاد ناشط ميداني في مقابلة على السكايپ بأنه جرت الدعوة علّا في أحد جوامع العوطة الشرقية ضد المجلس العسكري الناشط هناك، واتهم بالسرقة، وبأنه يعمّل ضد تعاليم الإسلام.

الجيش السوري الحر. فقد أفتى الطرطوسي بجواز الانضمام، فيما رأى الشنقيطي أنّ الجيش الحر تنظيم علماني يدعو إلى الديمقراطية وهو ما يتعارض مع جوهر الشريعة، لكن الشنقيطي ما لبث أن عدّ مواقفه، فأفتى بوجوب تجمّع جميع السلفيين في جبهة واحدة هي النصرة، مع التأكيد على عدم الاصطدام مع الجيش الحر، لا بل ذهب لِإجازة التعاون مع الكتائب غير الإسلامية إذا كان ذلك مفيداً في المعركة^{٧٢}.

وقد أثرت هذه الفتاوى في علاقة جبهة النصرة بالكتائب الأخرى العاملة على الأرض؛ فمنذ تموز/ يوليو ٢٠١٢ بدأت تظهر علاقة تعاون وتنسيق بين النصرة وبعض كتائب الجيش الحر، ولا سيما ذات التوجه الإسلامي، ففي حلب كان التعاون واضحًا بين النصرة ولواء التوحيد في عمليات السيطرة على مناطق مختلفة من المدينة^{٧٣}. كما أشار متحدث باسم المجلس الثوري بحلب وريفها وهي مجموعة عسكرية ناشطة ترتبط ولواء التوحيد أنّ مقاتلي جبهة النصرة مرحب بهم كأبطال في المدينة^{٧٤}. وقد ظهر هذا التعاون جليًا أيضًا في معركة السيطرة على الرقة وغيرها من مناطق الشمال السوري. ولم يلغ هذا وجود حالة من التوتر بين الطرفين تجلت في حصول صدامات وإن كانت محدودة بين النصرة وبعض الكتائب الأخرى المنضوية تحت لواء الجيش الحر. فقد قام مقاتلون من كتيبة الفاروق في الشمال باختطاف رئيس مجلس الشورى في جبهة النصرة أبو محمد الشامي العبسي وإعدامه^{٧٥}. في المقابل، يعتقد أنّ جبهة النصرة هي المسؤولة عن مقتل أحد كبار قادة كتائب الفاروق في مدينة سرمين شمال سوريا مطلع كانون

^{٧٢} "الجهاديون في سوريا ...؛ و "هل هو الجهاد؟ ...".

^{٧٣} جمو، "جبهة النصرة ...".

^{٧٤} قائد عمليات لواء التوحيد عبد القادر صالح في برنامج "لقاء اليوم"، قناة الجزيرة، ٢٠١٢/٨/١١.

^{٧٥} العبسي من أصل سوري، هاجر للجهاد في أفغانستان، حيث التقى أبو مصعب الزرقاوي والتحق به، ثم عاد للسعودية قبل هجمات ١١ سبتمبر بفترة وجيزة، وعاش في السودان لفترة، ثم عاد إلى سوريا عام ٢٠١١. انظر: "اغتيال العبسي يثير خلافات بين الثوار. ويُلقي الضوء على الاختلافات الفكرية بين الإسلاميين من المقاتلين"، جريدة الشرق الأوسط، ٢٠١٢/٩/٨:

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

الثاني/ يناير ٢٠١٣ بعد تحويله مسؤولية قتل العبسي قبل ذلك بأربعة أشهر، على الرغم من أنّ كتائب الفاروق لم تتهم النصرة^(٧٦).

كذلك عبر قادة ميدانيون من الجيش السوري الحر عن شعورهم بالغضب المتزايد من سلوك الجماعات الجهادية وخاصة جبهة النصرة، واتهموها بالسعى لخطف أهداف الثورة^(٧٧). ويتبدى التوتر المتزايد بشكل ملموس، في ريف حلب الذي أصبح معللاً للجهاديين المسلمين تسلیحاً حسناً، والمدفعين أيديولوجياً، حيث يعتقد بعضهم فكر القاعدة ويرون في سوريا ساحة للجهاد العالمي^(٧٨).

لكن الخلاف الأبرز ظهر عندما أعلنت مجموعة من الكتائب والتشكيلات المسلحة الإسلامية في ١٨ تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠١٢ رفضها الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة السورية، وعزمها على تأسيس دولة إسلامية عادلة. وقد وقع على البيان جبهة النصرة، وكتائب أحرار الشام، ولواء أحرار سوريا، ولواء حلب الشهباء الإسلامي، وحركة الفجر الإسلامية، ولواء درع الأمة، ولواء عدنان، وكتائب الإسلام، ولواء جيش محمد، ولواء النصر، وكتيبة البار، وكتيبة السلطان محمد الفاتح، ولواء درع الإسلام^(٧٩).

تضمن توجهات الموقعين على البيان طيفاً أيديولوجياً متنوعاً يتراوح بين التيار السنوي غير المؤدلج، ممثلاً ولواء أحرار سوريا؛ وهو فصيل من الجيش السوري الحر ينشط في شمال غرب

^{٧٦} "تصفيه قيادات بين "النصرة" و"كتائب الفاروق" تثير مخاوف من تنافر داخل المعارضة السورية"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٣/١/١٢.

^{٧٧} "الجيش الحر يرد على القاعدة: لا أحد يفرض على الشعب السوري دولته"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٣/٤/١٠.

^{٧٨} عبد الإله مجید، "مسيرة الثورة السورية .. تهديها حرب بين الجهاديين والجيش الحر"، موقع جريدة إيلاف، ٢٠١٣/١/٨، انظر: <http://www.elaph.com/Web/news/2013/1/787133.html>

^{٧٩} "تداعيات بيان كتائب حلب عن تشكيل دولة إسلامية"، موقع الإخوان المسلمين سورية، ٢٠١٢/١١/٢٢، انظر:

<http://www.ikhwansyria.com>

حلب، وبين الجماعات ذات الميول الإسلامية مثل لواء التوحيد، وعدد من التنظيمات الجهادية بما في ذلك جبهة النصرة وكتائب أحرار الشام وحركة الفجر الإسلامية.

وقد تراجعت بعض المجموعات عن البيان في اليوم التالي خشية ربطها بالمعسكر الإسلامي المتشدد، ونتيجة ردود الأفعال القوية التي جاءت من أطراف ثورية مدنية وعسكرية^(٨٠). ونتيجة لذلك، أعيد نشر البيان بصيغة جديدة بعد أربعة أيام تحت مسمى "نسخة مصححة". وأعلن قائد لواء التوحيد عبد القادر صالح تبني الموقعين الدعوة إلى إقامة دولة عادلة تحكم وفقاً لشرع الله، من دون الإشارة لعبارة "الدولة الإسلامية"، ولم يتضمن البيان الجديد أي إشارة إلى الائتلاف الوطني. وضمت قائمة الداعمين للبيان المعدل جميع القوى والكتائب الموقعة على البيان الأصلي بعد استبعاد جبهة النصرة وحركة الفجر الإسلامية^(٨١).

أبقى تضارب المواقف حول الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة الضوء على حدة الخلافات بين مكونات المعارضة المسلحة السورية وانجرافها نحو صراعات فكرية وأيديولوجية، ما يهدّد بزيادة الشرخ في العلاقة بين الكتائب الإسلامية وال المجالس العسكرية، خاصة إذا تحول الصراع مع النظام إلى حرب مزمنة.

٢. التمويل

يشكل موضوع التمويل أحد أبرز القضايا الخلافية في الثورة السورية، ويعدّ أهمّ أسباب الخلاف والفرقة بين قوى المعارضة المدنية والعسكرية؛ فتنوع سياسات المسؤولين ومحاولتهم شراء نفوذ لهم

^{٨٠} آرون لوند، "حلب والصراع على روح الثورة السورية"، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، ٤/١٢/٢٠١٢، انظر:

<http://www.carnegie-mec.org/>

انظر أيضاً، "سوريا: مقاتلون إسلاميون يرفضون الائتلاف الوطني والجيش الحرّ يردّ"، جريدة الحياة اللندنية، ١٩/١١/٢٠١٢.

^{٨١} لوند، "حلب والصراع ...".

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

على الأرض لا يجعل فصائل المعارضة عرضة للضغط فحسب، بل ينذر أيضًا بتحول بعض الكتائب إلى ميليشيات خاصة تتلقى أوامرها من الخارج. كما أن اختلاف مصالح الممّولين واختيارهم دعم فصائل دون أخرى ينذر الاستقطاب الإقليمي والدولي إلى الداخل السوري، وينعكس اختلافاً على الأرض، قد يتطور ليتحول إلى اشتباك. ينذر كل ذلك بتحول الحالة السورية من ثورة شعب مقوم على نظامٍ مستبدٍ، إلى حرب بالوكالة بين القوى الإقليمية والدولية المتنافسة على النفوذ في سوريا. وفي العموم، تتوزع مصادر تمويل قوى المعارضة العسكرية بشقيها الإسلامي والعلماني على ثلاثة مصادر رئيسة، هي:

تمويل حكومي: تسعى بعض الحكومات لصناعة أدوات تأثير ونفوذ لها في الصراع، ومن أبرز الحكومات التي تقدم تمويلاً للمعارضة المسلحة السورية حكومات دول الخليج، وبريطانيا، وفرنسا، وتركيا^{٨٢}.

التمويل الشبكي: يعتمد هذا النوع من التمويل على شبكات منظمة لديها خبرات كبيرة في تأمين المال والسلاح. وتمتاز الجماعات الإسلامية خصوصاً بامتلاكها شبكات تمويل كبيرة عابرة للحدود. ومنذ اندلاع الثورة السورية وتحولها إلى العمل المسلح، بدأت بعض هذه الشبكات في تحويل الدعم للداخل السوري، وتعتمد في إيصاله على العلاقات الشخصية من خلال وجهاء محليين ودعاة ورجال دين داخل سوريا وخارجها.

التمويل الذاتي: بُرِزَ هذا النمط من التمويل لسد النقص الحاصل في تدفق المعونات الخارجية، كما لجأ إليه البعض لتحقيق درجة من الاستقلالية عن التمويل الخارجي المشروط. فتحول الكثير من الجماعات المسلحة إلى استثمار كل ما يقع تحت أيديهم من معلم، ومنشآت اقتصادية، وألات، وأليات، ومعادن مثل النحاس والحديد، وغيرها من الموجودات ذات القيمة سواء كانت

^{٨٢} "الغارديان: السعودية تدفع رواتب عناصر الجيش السوري الحر"، موقع بي بي سي عربي، ٢٠١٢/٦/٢٣، انظر:

http://www.bbc.co.uk/arabic/inthepress/2012/06/120622_inthepress_.shtml

كذلك انظر، "قطر وال Saudia تدفعان رواتب الجيش السوري الحر"، الشروق أون لاين (الجزائر)، ٢٠١٢/٦/٢٣، انظر:

<http://www.echoroukonline.com/ara/articles/133277.html>

ملكيتها عامة أم خاصة، فضلاً عن الأسلحة والذخائر التي يجري اغتنامها من موقع الجيش النظامي.

تشكلت المجالس العسكرية في ظل توجه إقليمي ودولي لضبط المعارضة العسكرية واحتواء التيارات "الإسلامية المتشددة" فيها. من هنا، اعتمدت المجالس العسكرية في تمويلها بشكل رئيس على مصادر تمويل خارجية حكومية غالباً. وارتبط هذا التمويل - على ضآلته حجمه - بسياسات تلك الدول ورؤيتها للصراع؛ فتارة يجري العمل على صرف مستحقات مالية للمجالس العسكرية، وتارة أخرى يتوقف لأسباب تتعلق بمصالح الممولين ورؤيتهم للصراع^(٨٣).

أما الكتائب الإسلامية، فتتراوح مصادر تمويلها بين حكومات ومؤسسات وهيئات وأفراد. ويعتمد لواء الإسلام ولواء الحبيب المصطفى، على سبيل المثال، على تمويل يأتي من أفراد في الخليج عبر وسطاء^(٨٤). فيما تعتمد كتائب أخرى على شبكات يديرها دعاة وشيوخ سلفيون مثل أحرار الشام التي تمولها الهيئة الشعبية برئاسة الشيخ الكويتي حاج العجمي، ولواء صقور الشام الذي يقول إن تمويله يأتي من مغتربين سوريين وعرب؛ وذلك عبر المعارض السوري عماد الدين رشيد، في حين تموّل بعض الكتائب المقاتلة في حمص من قبل شيوخ سلفيين في البحرين وال سعودية^(٨٥).

في الآونة الأخيرة، بدأت الكتائب الإسلامية والمجالس العسكرية على السواء بتعزيز مصادر تمويلها الخاصة؛ إذ أفرزت أجواء الصراع الدائر في سوريا شكلاً من أشكال "اقتصاد الحرب"

^{٨٣} أفاد ناشط ميداني في مقابلة على سكايب بوصول مبالغ مالية للمجالس العسكرية في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٢ وصرف جزء منها كرواتب للثوار، فيما حُصص الجزء المتبقى لشراء السلاح، كما أفاد أنه جرى منح عدد من القادة العسكريين أموالاً بهدف تأسيس مجالس عسكرية، وأغلب هذا التمويل كان يأتي من دول خليجية. انظر كذلك: "الجيش السوري الحر يصرف أول راتب لمقاتليه في حلب"، العربية نت، ٢٢/١٠/٢٠١٢.

<http://www.alarabiya.net/articles/2012/10/22/245327.html>

^{٨٤} "دوما: المعركة الفاصلة بين الغرفة الشرقية ودمشق"، موقع كلنا شركاء، ١٩/١٢/٢٠١٢، انظر:

<http://all4syria.info/Archive/6295>

^{٨٥} "هل هو الجهاد؟ ..."، ص ١٦.

المعارضة المسلحة السورية: وضوح الهدف وغياب الرؤية

القائم على مفهوم "الغنية"، فضلاً عن تجارة السوق السوداء وفرض رسوم أو مستحقات مالية وفق ما تراه الكتائب على النشاطات التجارية والزراعية وغيرها^(٨٦). كما بدأت تزدهر تجارة النفط وتهريبه عبر الحدود التركية خاصة بعد سقوط عدد من آبار النفط في مناطق شمال وشرق سوريا في أيدي جماعات المعارضة المسلحة^(٨٧). وقد وفرت هذه التجارة مورداً مالياً معتبراً لبعض الكتائب، لكنها تحولت من جهة أخرى إلى سبب للنزاع فيما بينها للسيطرة على هذه الموارد^(٨٨).

٣. العلاقة مع المعارضة السياسية (الخارجية)

تختصر العلاقة بين المكونات السياسية والعسكرية للمعارضة جل مشكلات الثورة السورية، لجهة غياب التنسيق، وتدني مستوى التعاون، وغلبة الصراع والتنافس، وتقديم المصالح الضيقية على المصالح العليا للشعب التائز. في العموم، تتميز العلاقة بين الطرفين بعدم الاستقرار وتفضي لمتغيرات عديدة أهمها: الوضع الميداني، والارتباطات الخارجية، والتطورات السياسية، ورؤيا كل طرف لدوره في الثورة^(٨٩).

^{٨٦} أفاد ناشط ميداني في لقاء على السكايب أن بعض الكتائب تقوم ببيع غنائم سيطرت عليها بعد الاستيلاء على موقع عسكرية للنظام لتمويل عملياتها.

^{٨٧} "مصادر معارضة تشير إلى "سيطرة" مقاتلين معارضين على أغلب آبار النفط والغاز في سوريا"، موقع سيريا نيوز، ٢٠١٣/٤/٨، انظر:

http://www.syria-news.com/readnews.php?sy_seq=158535

^{٨٨} "مقاتل من "النصرة": الجيش الحر وقوات الأسد يبيعون النفط إلى تركيا"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٣/٤/٢؛ وانظر كذلك: "اشتباكات النصرة وقبائل سوريا: صراع على النفط"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٣/٤/٢١

<http://alhayat.com/Details/505387>

^{٨٩} لضرورات بحثية خالصة، يجري التعامل في هذه الدراسة مع المعارضة السياسية الخارجية وكأنها كتلة واحدة، علماً أن ذلك لا يعبر عن حقيقتها بدقة.

أ. العلاقة بين المجالس العسكرية والمعارضة السياسية

شهدت العلاقة بين المجالس العسكرية والمعارضة السياسية على امتداد عمر الثورة السورية توافقات واختلافات من دون أن تستقر على وثيرة ثابتة أو تقوم على أساس محددة. ويمكن وصفها في العموم بأنّها علاقة تعاونٍ في إطارٍ تناافي، فكل من الطرفين بحاجة إلى الآخر لكنّه يقاوم محاولات السيطرة عليه. فالمعارضة السياسية التي نشأت في الخارج تستمد شرعيتها من مدى ارتباطها وتوافقها مع حاجات المقاومين على الأرض، في حين تحتاج المجالس العسكرية إلى المعارضة الخارجية كقطاع سياسي وواجهة للتعامل مع الأطراف الدولية، فضلاً عن كونها مصدر تمويل أساسي، وخاصة بعد تشكيل الائتلاف الوطني لقوى الثورة والمعارضة وتحوله إلى مُستقبلٍ رئيسٍ للمساعدات والمنح المالية الدولية للثورة السورية.

لم ينجح الطرفان حتى الآن في بناء علاقة مؤسساتية قابلة للحياة. وعلى الرغم من أنّ تطويراً إيجابياً طرأ على علاقتهما بعد تشكيل الائتلاف الوطني، وتأسيس مجلس القيادة العسكرية العليا المشتركة، ليكونا المظلين الأكثر شمولاً للمعارضة السياسية والعسكرية، فإنّه سرعان ما تكشفت الخلافات ومحدوية التنسيق بينهما، إذ ظهر وكأنّ الطرفين ورثا كل تعقيدات العلاقة التي كانت سائدة بين الجيش السوري الحر والمجلس الوطني السوري. فقد أعربت بعض الفصائل المسلحة عن تحفظها على المبادرة التي أطلقها أحمد معاذ الخطيب رئيس الائتلاف الوطني للحوار مع النظام^(١٠). كما ثار خلاف حول الطريقة التي جرى فيها انتخاب رئيس الحكومة المؤقتة غسان

^(١٠) "النظام يرفض بشكل غير مباشر مبادرة الخطيب.. الجيش الحر: نظام بشار لن يرحل إلا بالقوة"، موقع المختصر، ٢٠١٣/٢/٥، انظر:

هيتو^(٩١)، وصلت حد تبادل الاتهامات بين بعض الفصائل العسكرية وتيارات داخل الائتلاف، بل هددت بعض القوى بإسقاط حكومة هيتو ومنعها من العمل داخل سوريا^(٩٢).

ب. العلاقة بين الكتائب الإسلامية والمعارضة السياسية

تبدو العلاقة بين القوى المسلحة الإسلامية والمعارضة السياسية أكثر تعقيداً من تلك التي تربط القوى العسكرية العلمانية بالمعارضة السياسية. كما يشوبها الغموض المتمعد الذي يحرص الطرفان على استمراره وتغذيته. في العموم، تتنوع المقاربة السياسية للعلاقة بين الطرفين؛ إذ تميل بعض الكتائب الإسلامية للتعاطي مع المعارضة السياسية من منظور براجماتي بما يؤمن لها التمويل، والخطاء السياسي، والدعم العسكري، في حين تفضل قوى إسلامية أخرى النأي بنفسها عن المعارضة السياسية. تعتمد المعارضة السياسية بدورها مقاربة مشابهة، فقد كانت وما زالت بحاجة لكسب تأييد الكتائب الإسلامية باعتبارها الأقوى والأكثر تأثيراً في الداخل.

وقد طرح بعض شيوخ ومنظري السلفية الجهادية رؤيتهم للعلاقة مع المعارضة السياسية ومنهم الشيخ أبو بصير الطرطوسى الذى حدد شرطين أساسيين للتعاطي معها: أولهما، عدم التعامل مع المعارضة الليبرالية أو العلمانية أو تلك التي لديها أفكار موجهة ضد الدين. وثانيهما، ضرورة تسيق المعارضة السياسية مواقفها مع الكتائب الإسلامية وعدم تجاوزها في اتخاذ القرارات الحيوية. ويقول أبو بصير: لم تجر استشارتنا في عملية تشكيل المجلس الوطني السوري، وإننا لختلف معه في قضية قبول جميع أطراف المعارضة، ولا سيما تلك ذات التوجهات الليبرالية

^{٩١} "تحذير أخير لهيتو من القيادة المشتركة للجيش السوري الحر"، موقع كلنا شركاء، ٢٠١٣/٤/١٠، انظر:

<http://all4syria.info/Archive/77690>

^{٩٢} "الجيش الحر ينتقد الإخوان المسلمين"، موقع سوريا السياسية، ٢٠١٣/٣/٣٠، انظر:

<http://www.syrianparties.info/?p=4431>

والعلمانية، حيث لا يحق لها أن تكون ضمن قيادات الثورة السورية^(٩٣). مع ذلك، يميل الطرطوسي إلى تبني مبدأ الضرورات، وذلك لتلافي الدخول في صراع مع هذه التيارات، وفي ذلك يقول: "ليس من الضروري في هذه المرحلة فتح معركة مع باقي أطراف المعارضة، فالآن نحن في مرحلة إسقاط النظام ومن المهم توحيد السهام مع التحفظ على أفكار المعارضة السياسية"^(٩٤). وقد ظهر أثر أفكار أبو بصير في الموقف الذي اتخذه كتائب أحرار الشام حين تحفظت على إنشاء علاقات مع المجلس الوطني^(٩٥).

أما جبهة النصرة، فقد رفضت التعاطي مع المعارضة السياسية من حيث المبدأ باعتبار أنها مشروع غربي يهدف إلى احتواء المشروع الإسلامي، في حين يتعامل لواء التوحيد ببراغماتية معها من دون أن يلتزم بشيء تجاهها^(٩٦). وتحفظ كتائب إسلامية أخرى بعلاقة مع بعض التيارات السياسية ضمن المعارضة، ففي أيلول/سبتمبر ٢٠١١، قامت "اللجنة العامة لحماية المدنيين"، وهي مجموعة يرأسها العضو السابق في جماعة الإخوان المسلمين هيثم رحمة، بإرسال بعض الأسلحة والأموال إلى مدينة حمص لمقاومة قمع النظام، وكانت تلك أول خطوة تقدم عليها جماعة الإخوان المسلمين في اتجاه دعم الثورة عسكرياً. وتشمل المجموعات التي يعتقد أنها تلقت دعماً سخياً من الإخوان لاحقاً كتيبة الفاروق في حمص، ولواء التوحيد في حلب، وصقور الشام في جبل الزاوية وأحرار الشام في إدلب^(٩٧).

^{٩٣} طارق العبد، "السلفيون في سوريا.. خلاف مع الجميع بين السلاح والتكفير"، موقع سيريان تلغراف، انظر:

<http://www.syriantelegraph.com/?p=48140>

^{٩٤} المرجع نفسه.

^{٩٥} "هل هو الجهاد؟ ..."، ص ١٥.

^{٩٦} المرجع نفسه.

^{٩٧} رافائيل لوفير، "الكافح المسلح لجماعة الإخوان السورية"، مركز كارنيجي للشرق الأوسط، ٤، ٢٠١٢/١٢/٤، انظر:

<http://www.carnegie-mec.org/>

رابعاً: سيناريوهات العلاقة المستقبلية بين تيارات المعارضة المسلحة السورية

مع تحول سورية إلى ساحة صراع تتجاذبها التناقضات الإقليمية والدولية، وعدم وجود بوادر جدية لحل سياسي أو عسكري يفضي لإنتهاء الأزمة، تبرز مخاوف حقيقة من تسامي صراعات جانبية مدمرة على هامش السياق الأصلي المتمثل بمحاولة الشعب السوري التخلص من عهد الاستبداد، والتحول نحو نظام ديمقراطي يكفل الحرية ويحقق التنمية.

تتمثل هذه الصراعات الفرعية باحتمال نشوب صدامات دامية بين فصائل المعارضة المسلحة، وخاصة بعد أن بدأت تتضح معالم الانقسام فيما بينها. ويشير دخول القاعدة بشكل مباشر وعلني على خط الصراع^(٩٨)، إلى حجم التناقضات التي يمكن أن تطفو على سطح العلاقة المعقّدة بين أطراف المعارضة المسلحة^(٩٩).

مع أنّ معركة تحديد أحجام مكبّة تجري بالفعل بين التيارين في المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام^(١٠٠)، فإنّ ذلك قد يتحول سريعاً إلى صراع مفتوح بتشجيع خارجي، وغربي على وجه التحديد. فالولايات المتحدة لم تعد ترى ما يجري في سورية إلا باعتباره جزءاً من معركتها ضد الإرهاب، وهو ما يمنع الجسم العسكري، ويعطل في الوقت نفسه الحل السياسي. فمع أنّ واشنطن ترغب في رحيل نظام الأسد لأنّ سقوطه يضعف نفوذ إيران الإقليمي، فإنّها ترى - من جهة أخرى - في استمرار الصراع وسيلة مجانية لإنهاك الطرفين؛ أي النظام السوري ومعارضيه الإسلاميين. فضلاً عن ذلك، تمنع الولايات المتحدة وصول أموال وأسلحة إلى القوى الإسلامية

^{٩٨} "الظواهري إلى المعارضة السورية المسلحة: عليكم بالدولة الإسلامية"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٣/٤/٧.

^{٩٩} "القاعدة في العراق: جبهة النصرة السورية امتداد لنا ...؛ و"الجيش الحر يرد على القاعدة ...".

^{١٠٠} انظر مثلاً: يوسف فخر الدين، "الثورة السورية وتحدي الهيئات الشرعية"، جريدة الحياة اللندنية، ٢٠١٣/٤/١٠.

التي تعتبرها متطرفة، وتوجه معظم الدعم إلى المجالس العسكرية، ما يزيد من التوتر، ويبير اتهامها بأنّها أداة بيد الغرب لتحقيق مشروعه في المنطقة. كما تقوم واشنطن، وبخاصة مع تراخي قبضة النظام على مناطق الحدود مع الأردن وإسرائيل، بالإشراف على تدريب مقاتلين سوريين لاستخدامهم كأدوات محلية لمنع سيطرة قوى إسلامية على هذه المناطق الحيوية، وهو ما يعزّز احتمال وقوع صدام بين أطراف المعارضة العسكرية في مناطق الجنوب السوري^(١٠١).

مع ذلك، يمكن القول إنّ هناك إصراراً من أطراف المعارضة العسكرية - حتى الآن - على عدم الانزلاق نحو صراعات جانبية^(١٠٢). وفي العموم، يمكن الحديث عن عدة سيناريوهات تحكم العلاقة بين مكونات المعارضة العسكرية:

أولاً، سيناريو التعاون في إطار تنافي، كما هو الحال الآن؛ إذ تتجنب الكتائب الاحتكاك المباشر مع بعضها، فيما تسعى لزيادة نفوذها في أوقات الهدوء، وتذهب إلى حد التعاون لصد قوات النظام في أوقات المواجهة.

ثانياً، سيناريو الاتفاق على تشكيل جسم عسكري موحد يضم جميع أطراف المعارضة المسلحة. وهذا أمر مستبعد بسبب الخلافات الأيديولوجية والتدخلات الخارجية؛ فعلى الرغم من أنّ انضمام قوى إسلامية إلى القيادة العسكرية العليا المشتركة - وهي أوسع تجمع لقوى المعارضة المسلحة - فإنّ قوى أخرى مهمة بقيت خارجها. كما أنّ هذه القيادة لم تثبت حتى الآن قدرتها على السيطرة أو التأثير في الفصائل المسلحة المنضوية تحت رايتها.

ثالثاً، سيناريو الاختلاف والاقتتال، وهو - كما ذكرنا - يمكن أن يحصل بفعل الخلافات الأيديولوجية أو الصراع على النفوذ والموارد أو بتشجيع خارجي.

^{١٠١} "الغارديان: الـسيـ آـيـ آـيـهـ تـدـرـبـ مـتـرـدـيـنـ سـوـرـيـيـنـ"، جـريـدةـ الـحـيـاةـ الـلـنـدـنـيـةـ، ٢٠١٣/٤/٨ـ.

^{١٠٢} "المجلس العسكري للجيش الحر في دمشق وريفها: ليس لنا اتصال مع جبهة النصرة.. ولكن نثمن دورها في مواجهة النظام"، موقع سيريا نيوز، ٢٠١٣/٤/١٢ـ:

الخاتمة

تنقق تيارات المعارضة العسكرية السورية جميعاً، شأنها شأن المعارضة السياسية، على أنّ هدفها هو إسقاط نظام الرئيس بشار الأسد، وأنّها نشأت للدفاع عن الشعب الأعزل من القمع الشديد الذي تستخدمه أجهزة السلطة ضده، لكنّها تختلف على كل شيء آخر بعد ذلك. فهي لا تمتلك إجابة محددة عما سيحصل في اليوم التالي لسقوط النظام، ولا حتى خريطة طريق توضح كيفية إسقاطه، باستثناء الإقرار بأنّ القوة العسكرية هي الوسيلة الوحيدة لبلوغ ذلك.

وعلى الرغم من أنّ معظم الفصائل تطالب بالوحدة والتنسيق المستمر باعتبارها العامل الحاسم في كسب المعركة، فإنّ عوامل الفرق تطغى على هذه الدعوات؛ إذ تقدم الخلافات الأيديولوجية والصراع على النفوذ والموارد على غيرها من اعتبارات. يأتي ذلك في ظل مرحلة حساسة جداً من الصراع في سوريا وعليها، إذ تزايد الرهانات الإستراتيجية المرتبطة بالاتفاق الإقليمي والدولي، وتترافق مع شحنٍ "طائفي" متزايد للصراع وعنفٍ متزايد، مع استمرار حالة الاستعصاء وغياب أي أفق لتسوية سياسية تضمن الحفاظ على ما تبقى من سوريا وإرثها التاريخي والحضاري.

كل ذلك يشير إلى حجم المسؤولية المترتبة على عاتق المعارضة السورية عموماً، والعسكرية خصوصاً، وعلى اختيارتها؛ فإذا استمرت في العمل على تحقيق مصالح فئوية ضيقة، وإذا ظلت عاجزة عن إنتاج مشروع وطني قابل للحياة، فهذا يعني أنّ البلاد تتزلق باتجاه أسوأ الاحتمالات. أمّا إذا قررت الارقاء إلى مستوى المسؤولية، وذهبت باتجاه تأسيس مكوّن عسكري وطني جامعٍ لا يخضع لإملاءات خارجية، فإنّ ذلك سيسرع في انتصار الثورة، وينقذ سوريا من التفتت، ويجنبها صراعات إقليمية لا مصلحة لها فيها، ويعيد بناء الدولة والمجتمع على أسس أكثر عدالة وإنسانية.